مشروع التفاعل مع دمشق

تجاوزات للحدود

"لماذا دمشق؟" كثيراً ما وجّه إليّ هذا السؤال، لماذا رحل غوته إلى إيطاليا؟ ورحل أوغوست ماكه إلى تونس؟ لماذا يلعب الشحم واللباد دوراً هاماً جداً في عمل جوزيف بويتس؟ لماذا ترسل الجامعات الأمريكية طلابها وجزءاً من هيئتها التعليمية إلى باريس أو إلى كيوتو؟

الفن، بل وحتى العلم، له علاقة قوية مع المنظور الذي ينظر منه المرء إلى موضوع، لأن الاهتمام بهذا المجال هو عنصر هام لعملية الإبداع الفني. فالواقع، وليس آخراً، الواقع المعاش في أبعاده المتعددة، هو الأساس لخلق واقع جديد بوسائل الفن.

ويخرج عن نطاق السؤال أن طالبات وطلاب جامعة فنون أوروبية متأثرون شخصياً وفنياً، ويتأثرون أيضاً، بنمط الحياة وبالتيارات الثقافية والجمالية والاقتصادية وبأشكال العمل والاتصال التي تشكل معاً ما يسمى "بالحضارة الغربية". فهم يعايشون ويستخدمون عولمة مؤسسة الفن التي تسهل عليهم جداً الوصول إلى الفن، إلى أحدث الفن المعاصر، بوسائل الاتصال الالكترونية، أو من خلال المعارض والمعروضات التي تزداد غنى من قارة إلى قارة، ومن مدينة إلى أخرى، ومن معرض إلى معرض فني آخر.

إنهم يعون أيضاً أن هذه العولمة للمؤسسة الفنية تقتصر على هذا "العالم الغربي". فشبكات التعبئة التابعة للاتحاد الأوروبي يتم استغلالها من قبل عدد متزايد من الدارسين والإقامات الدراسية في جامعات أوروبية أخرى.

إن كل ذلك هو بلا شك هام وإيجابي، وبخاصة أن هذه المؤسسة الفنية هي بالضبط التي على خريجي جامعاتنا أن يثبتوا فيها أقدامهم في وضع مثالي يمكنهم من تحقيق النجاح.

أخذت جامعة الفنون التطبيقية في فيينا، والتي تعتبر في عداد أفضل جامعات الفنون في العالم على الإطلاق، على عاتقها من خلال مشروع دمشق، والذي سوف يتم توثيق نتائجه في هذا المجلد، محاولة توسيع نشاطاتها بخصوص سمعتها العالمية وحركتها لتشمل العالم العربي.

والشيء الأساسي من أجل ذلك كان بالدرجة الأولى فكرة أن الاهتمام الواعي والمركز بواقع اجتماعي وثقافي مختلف كل الاختلاف يفتح للدارسين آفاقاً جديدة كلياً في عملهم الفني، آفاقاً إضافية تضفي أثرها الإيجابي على تطورهم الفني. لماذا أيضاً يجب أن تكون العلاقات مع العالم العربي احتكاراً على رجال الصناعة وبعض السياسيين؟ قلما كانت أو ما زالت الحدود القومية والجغرافية حاجزاً أمام الفنانين والفنانات - مثلها مثل حدود الشكل والمضمون - بل كانت دائماً شيئاً يمكن تخطيه وتجاوزه.

حققت محاولة "التطبيقيين" على أية حال نجاحاً كاملاً. وبدعم كبير من السفارة النمساوية بدمشق، التي تستحق منا هنا كل الشكر، أقام الدارسون والأساتذة المشاركون والأستاذات المشاركات التابعون لمؤسستنا، كما هائلاً من العلاقات مع مثقفين مبدعين ومؤسسات جامعية وفنية ومسؤولين أفراد مهتمين في دمشق، الذين سهلوا عليهم، وإلى حد كبير، تحقيق مشروعهم. شكر خاص نتوجه به إلى سيمونيتا فرفوليا للنقاش الفني المرافق. وبشكل خاص نشكر كريستيان ريدر، المسؤول عن "نقل الفن والعلم" في جامعتنا،

والذي لولا حماسه للفكرة ولولا التزامه العاطفي والتنظيمي والمادي لما خرج هذا المشروع إلى حيز التنفيذ.

كانت الأسابيع التي قضاها الدارسون في دمشق مطبوعة بطابع التركيز غير المسبوق والتكثيف والإنتاجية في العمل في كافة مشاريعهم المختلفة.

لقد فتح لهم تبدل المنظور من حيث النظر إلى عمليات تطورهم الفني- كما كان متوقعا - أبعاداً شخصية وفنية جديدة كانت لها آثارها الإيجابية وبأسلوب مؤثر على نوعية وجدية عملهم.

أخيراً أظهر هذا المشروع أيضاً أن العلاقات الثقافية المتبادلة يمكن أن تغتني دون الشك بالهوية الثقافية الذاتية. لقد شجعنا على الاعتقاد بأن نظرية مناقضة لفكرة صراع الحضارات ليست مجرد فكرة.

غيرالد باست
رئيس جامعة الفنون التطبيقية، فيينا

تحت رعاية الأستاذ الدكتور حسان ريشة ,
وزير التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية
وبالتعاون مع مركز الدراسات العليا لكلية الهندسة المعمارية بجامعة دمشق.

مستويات تناول الموضوع
البحث السمعي- النظري، التفاعل الاجتماعي، وضع الخرائط

عندما يرى واحد ممن تعاملوا معنا في إعداد هذا المجلد، والذي يعيش في دمشق، وهو الفيلسوف صادق جلال العظم، في مرحلة موازية للتفاقم الحاد الذي عاد مجدداً لنماذج الصراع الثقافي والصليبي والجهاد "أن اليد العليا قد أصبحت الآن للتعصب الثقافي الشوفيني وضيق الأفق المحافظ والتجزؤ المغرض إلى دويلات في الكثير من أصقاع الأرض" فإنه يعني بذلك أيضاً ميولاً مضادة للحضارة متفشية أحقاد وضغائن متأججة ومبتكرة[1]. خبرات حسية وعجز في تبادل الأفكار مع المنطقة العربية كانت السبب في استغلال أبعاد إضافية ومعانٍ دقيقة على أحسن ما يرام في واحدة من عواصم الشرق الأوسط الكبرى، أي بصريح العبارة خارج حدود أوروبا التي أصبحت إلى حد ما تنعم بالسلام، والتحضر من وجهة نظر اجتماعية، كفوضى من الغريب والمتشابه.

انطلاقاً من الأوضاع اليومية ينبغي أن تصبح عمليات سياسية وثقافية على مثال دمشق ومحيطها أسهل منالاً وتوصيلاً، وبخاصة حول الحوار مع ثقافة سمعية - بصرية كمبادرات مكونة لوسائل إعلام متعددة مرتبطة بتفاعل اجتماعي، ونقل يمكن إثارته في كلتا الجهتين، عليها، أي هذه المبادرات، والقصد هو تحقيق نتائج ضمن إطار مجموعات عمل علمية- فنية صغيرة، تترك أثراً في الجانب الشخصي وتسهم في الإغناء الذي يصحح أساليب الرؤية ويثير اهتمام الرأي العام هنا وهناك، حتى خارج الأجواء المتخصصة. كان الأمر يتعلق بوثائق حول مشاركة في التفكير، تطرح أسئلة، تحرف الأنظار عن ضيق الأنظمة، ويتعلق بإمكانات تعامل مفتوحة في حالات غير عادية، بتناول الاختلاف الثقافي. وما يمكن أن ينتج عن مثل هذه الطرق المفتوحة والباحثة التي لها شكل المقالات، كتوسيع مرئي- نصي لدراسات ثقافية لا يمكن - كما في كل تجربة - أن يتم التغاضي عنه.

مقاطع منه فقط يمكن أن تعرض طباعياً. كل ذلك خلق قارناً له وظيفة متعددة الاهتمامات مرافقاً لعروض ورشات العمل في فيينا ودمشق، له وجهات نظر حول خطوط المشروع المحددة والموصلة إلى الكثير، والتي يمكن الوصول إلى أبعادها الإضافية، عن طريق الانترنت لبعض الوقت.

وحقيقة أن تجريباً مهد للحداثة أولاً وقبل كل شيء في العلوم التي سادت بالعربية كان في أوج ازدهاره، كما يعيد